الفصل العاشر

الشكل الجديد

بعد أن بحثنا في المميزات المادية للشكل السينمائي، وشرحنا فكرة الحيز وفكرة الصورة والصوت ووسائل التعبير والتكبير والتكوين والمشهد بأركانه المكانية والزمانية والفاصل الزمني واختيار المعلومات وتقسيمها.

ومجرد تعداد هذه العناصر يكفي لكي يثبت أن السينما شكل جديد وأصيل لحكاية القصة يختلف عن الأشكال الأخرى كاختلاف الأوبرا عن القصة القصيرة أو المسرحية عن القصة الطويلة (وبذلك يجب أن نتوقف عن الظن أن هذا الشكل الجديد ليس سوى تحوير طفيف عن الطرق الأخرى التي تحكي بها القصة). وبدلا من أن نحمل هذا الشكل الجديد بالأخطاء والقواعد التي تتصل بالفنون الأخرى لابد أن نعترف له بحياة وشكل مستقلين ولكي نوضح هذه النقطة أكثر ق يكون من الأفضل أن نقارن بني المميزات المادية لكل شكل من الأشكال الثلاثة لحكاية القصة.

	الرواية	المسرحية	الفيلم
الطول	لا حد له من مجلد إلى ١٠ مجلدات	١٢٠-١٥٠ دقيقة	٩٠-١٢٠ دقيقة
تقديم الحوادث	تحكى	تمثل	تمثل
عدد المشاهد	لا حد له	محدد من ٣ – ١٠ تقريبا	من ٦٠ إلى٩٠ مشهدا تقريبًا
عدد الشخصيات	لا يحصى	محدد	محدد نسبيًا
استخدام الوقت	حر	حر	حر
تقديم الوقت	حر في التقدم أو الرجوع إلى المستقبل أو الماضي	إلى الأمام وإلى الخلف	إلى الأمام وإلى الخلف
الفواصل الزمنية	ليس ضروريًا	ليس ضروريًا	ليس ضروريًا
اختيار المكان	حر	محدود	حر
استخدام الحوار	حر	كامل	محدود
أفكار الشخصيات	موصوفة	مكتومة	مكتومة
أفكار المؤلف	موصوفة	لا توجد	لا توجد

	الرواية	المسرحية	الفيلم
الروابط بين المشاهد	موصوفة	ليس ضروريا	لا توجد
غرض الزمان والمكان	موصوفة	بالبرنامج الذي يوزع مع المسرحية	ليس بالطريقة المباشرة إلا في العناوين
عرض البواعث	موصوفة سيكولوجيا	من خلال الأحداث	من خلال الأحداث
التكبير	لا يوجد	لا يوجد	مهم
وقت الجمهور	غير محدود	جلسة واحدة	جلسة واحدة
إعادة القراءة	ممكنة	مستحيلة	جلسة واحدة

ملحوظة (أصبحت الإعادة الآن ممكنة باختراع الفيديو كاسيت)

وكثيرًا ما تحدث مبالغة في تصوير التشابه أو الاختلاف بين هذه الأشكال الفنية. وهناك عدد قليل من الكتاب ممن يعرفون كل فن من هذه الفنون معرفة أكيدة، وتفضيل مؤلف لشكل من الأشكال الفنية لا ينتج حتمًا من أنه أكثر خبرة فيه. إن هذا التفضيل يرجع أيضًا إلى مزاجه الذي قد يفضل شكلاً معينًا، والقائمة التي تأتي فيما بعد تعني فقط بالمميزات المادية لكل من الرواية والمسرحية والفيلم، وعلينا ألا ننسى أن خلافات هذه الأشكال تؤثر تأثيرًا حيويًا على البناء الدرامي لكل فن من هذه الفنون.

ولو أننا نظرنا في هذه الجداول لاتضح لنا الشكل في الرواية ليس محتمًا، مما يعطي المؤلف حرية أكثر في حين أن المسرح محدود يقيد المؤلف بشكل ضيق على حين أن الفيلم هو ابن الرواية والمسرح معًا لأنه يجمع بين صفات من هنا وصفات من هناك وله صفات جديدة أخرى.

فالفيلم يشبه الرواية في حرية الزمان والمكان ويشبه المسرح في طوله المحدد وتقديم الأحداث وانعدام عرض أفكار الشخصيات وأفكار المؤلف وانعدام الجمل الوصفية أو الاعتراضية أو الرابطة. ولابد أن يفهم الجمهور الفيلم كما يفهم المسرحية في جلسة واحدة.

أما الصفات الجديدة فهي منابع المعلومات التي تختلف في الفيلم عنها في المسرحية أو الرواية. فمشاهد الفيلم أكثر من مشاهد المسرحية، ولكنها أقل من مشاهد الرواية.

وتختلف كذلك في انتقاء المعلومات وطريقة التكبير واستخدام الفواصل الزمنية.

والفيلم بغض النظر عن بعض الصفات المشتركة له شكل جديد مستقل عن الرواية والمسرح وليس هذا تعريفا ولكن مجرد توضيح. فالفيلم هو المسرح الذي يمكن أن ينتقل إلى أي مكان يختاره المؤلف. وهذا يعني أن الفيلم يمكن تصوره برغم أنه قد يكون ملحمة.

وعلى المؤلف الذي يبتدئ التأليف ألا يظن أنه يعالج شكلاً مستويًا من أشكال الفنون. فسرعان ما تتحطم أوهامه حول ما يتصوره من تمتع السينمائيين من حرية مطلقة. ولابد أن يتحقق من أنه يتعامل مع اختراع له مميزات كبرى وعيوب كثيرة في نفس الوقت. ولسوف يشده هذان الطرفان المتناقضان. وسوف يواجه مشكلة مستمرة تتنازعه مقدرته ورغباته ولكن هذه الإمكانيات وتلك القيود تكمل بعضها الآخر وتتصارع في كل مشهد.

والفيلم يمنح إمكانيات عديدة لابد من استغلالها لأنها موجودة ولكن الشكل الخاص لهذا الفن الجديد يحتوي على عدة عقبات تقف في وجه كل إمكانياته. فبالرغم من أنه يملك عدة وسائل للتعبير إلا أنه تنقصه بعض أهم هذه الإمكانيات. وبالرغم من حريته في استخدام المكان والزمان إلا أن هناك صعوبات في طريقة عرض الزمان والمكان.

وهذا ما يستدعي أن يدرس طبيعة السينما بعناية حتى يتغلب على قيودها.